Journal Of the Iraqia University (77-2) 31 October (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIline ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

أثر الوقف الزراعي في مصر خلال العصر الأيوبي (٥٦٧–٦٤٨هـ)

م. د. سناء ضاري زيدان

جامعة ديالى / كلية التربية المقداد

The Impact of Agricultural Waqf in Egypt during the Ayyubid Era (567–648 AH)

Dr. Sanaa Dhari Zidane
University of Diyala / College of Education – Al-Muqdad
Sana.dhari@uodiyala.edu.iq

الملخص:

يتناول هذا البحث تأثير الوقف الزراعي في مصر خلال العصر الأيوبي (٥٦٧–٦٤٨هـ) باعتباره مؤسسة ذات أبعاد متعددة تجمع بين الشرعية الفقهية والتنظيم الإداري والفاعلية الاقتصادية والاجتماعية، لقد أظهر الوقف الزراعي قدرة الدولة على استغلال الموارد الزراعية لخدمة المجتمع، من خلال استصلاح الأراضي وزيادة الإنتاج، وتوفير موارد ثابتة للمؤسسات التعليمية والدينية، مما ساهم في تخفيف العبء عن بيت المال، كما لعب دورًا بارزًا في مواجهة الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية، وتعزيز التكافل الاجتماعي عبر دعم الفقراء والمحتاجين، مما ساعد في ترسيخ الهوية الإسلامية وبناء مجتمع أكثر تماسكًا وعدالة، ومن خلال هذا الدور المتعدد الأبعاد، أصبح الوقف الزراعي ركيزة أساسية للتنمية المستدامة في مصر الأيوبية، وأداة لإعادة تشكيل العلاقات بين الدولة والمجتمع، مما يعكس عمق التجربة الإسلامية في إدارة الموارد وتحقيق التوازن بين متطلبات السياسة واحتياجات المجتمع.**الكلمات المفتاحية: الوقف الزراعي– العصر الأيوبي– التنمية الاقتصادية– التكافل الاجتماعي**

Abstract:

This study examines the impact of agricultural *waqf* (religious endowment) in Egypt during the Ayyubid era (567–648 AH), viewing it as a multifaceted institution that integrates jurisprudential legitimacy, administrative organization, and economic and social efficacy. Agricultural *waqf* demonstrated the state's capacity to harness agricultural resources for the public good—through land reclamation, increased production, and the provision of stable funding for educational and religious institutions—thereby alleviating the financial burden on the public treasury (*Bayt al-Mal*). It also played a pivotal role in mitigating economic crises and natural disasters, as well as fostering social solidarity by supporting the poor and needy; this contributed to consolidating Islamic identity and building a more cohesive and equitable society. Through this multifaceted role, agricultural *waqf* became a cornerstone of sustainable development in Ayyubid Egypt and a tool for reshaping the relationship between the state and society, reflecting the depth of the Islamic experience in resource management and the balancing of political imperatives with societal needs.

Keywords: Agricultural *Waqf* – Ayyubid Era – Economic Development – Social Solidarity.

المقدمة:

شهدت مصر في العصر الأيوبي تحولات عميقة على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكان نظام الوقف الزراعي من أبرز الأدوات التي ساهمت في تشكيل هذه التحولات، فقد ارتبط الوقف منذ نشأته بالفكر الإسلامي الذي يركز على التكافل وضمان استمرارية الموارد، لكنه في هذه الفترة اكتسب أبعادًا جديدة جعلته يتجاوز حدود العمل الخيري ليصبح جزءًا من استراتيجية الدولة في إدارة الأراضي الزراعية وتوزيع العوائد، أدرك السلاطين الأيوبيون أن الأرض الزراعية تمثل أساس الاستقرار السياسي والمالي، لذا عملوا على تنظيم الأوقاف بما يضمن استصلاح الأراضي وتوفير موارد ثابتة للمؤسسات الدينية والتعليمية، مما انعكس إيجابًا على المجتمع من خلال تعزيز التكافل وتخفيف آثار الأزمات الاقتصادية.(العربي، ٢٠٢٢، ص ص٥٢–٧٥)الوقف في اللغة يعني الحبس والكف، ويجمع على أوقاف ووقوف، أما في الاصطلاح الشرعي، فهو حبس المال

وتخصيص منفعته طلبًا للأجر من الله تعالى، والمقصود بالمال هو ما يمكن الانتفاع به مع بقاء أصله، مثل العقارات والأراضي، بينما تعني تسبيل المنفعة تخصيصها لوجه الله. المنفعة هنا تشمل كل ما ينتج عن الأصل من أجور وأرباح، وهي صدقة لا تباع ولا تشترى، ولا تُهدى أو تورث، ويُصرف ريعها في مجالات البر، كما ورد في القرآن الكريم: { لن تنالوا البر حتى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، (آل عمران، الآية (٩٢)) وفي السنة النبوية قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"، (النووي ، ١٩٧٢، ٨٥/١١) ،وبالنسبة لمشروعية الوقف، فإن جمهور العلماء يرون لزومه،(الزحيلي،١٩٨٩، ص ص ١٥٤-١٥٦) بينما الأحناف هم الوحيدون الذين أنكروا ذلك، (الشوكاني، ١٩٩٣، ٣٠/٦) ومع ظهور الدولة الأيوبية، استغل الأيوبيون نظام الوقف لدعم حكمهم السياسي، خاصة في محاربة التشيع والجهاد الديني، مما أدى إلى تخصيص معظم أوقافهم للمدارس وبيوت الصوفية وفك أسرى المسلمين من أيدي الفرنج، (أمين، ١٩٨٠، ص١١) وعندما تولى السلطان صلاح الدين الأيوبي حكم مصر، قام بوقف أراضٍ من بيت المال لمختلف المؤسسات الدينية والتعليمية والخيرية.ولم يكن الوقف الزراعي مجرد وسيلة اقتصادية، بل شكّل شبكة معقدة من العلاقات بين الدولة والفلاحين والمؤسسات الدينية، حيث ساهم في دعم الإنتاج الزراعي وتوفير الغذاء، كما أتاح موارد للمدارس والمساجد والزوايا التي أصبحت مراكز إشعاع علمي وثقافي، ومن خلال هذا الدور، ساهم الوقف في ترسيخ الهوية الإسلامية وتعزيز الروابط الاجتماعية، فكان أداة لإعادة توزيع الثروة والحد من الفوارق الطبقية، إضافة إلى كونه وسيلة لمواجهة الكوارث الطبيعية التي كانت تضرب البلاد بين الحين والآخر.(الوندة، ٢٠٢١،ص ص٦٠-٧٠)إن دراسة هذه الظاهرة تكشف أن الوقف الزراعي لم يكن مجرد مؤسسة اقتصادية أو دينية، بل كان منظومة متكاملة تجمع بين الشرعية الفقهية والفاعلية الاقتصادية والبعد الاجتماعي، مما يجعله مدخلًا لفهم طبيعة التنمية في المجتمعات الإسلامية الوسيطة، ومن خلال تتبع أثره في مصر الأيوبية، يمكن إدراك كيف استطاعت الدولة أن توازن بين متطلبات السياسة واحتياجات المجتمع عبر آليات مستدامة، وأن تجعل من الوقف الزراعي ركيزة أساسية في بناء الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

أولا- إشكالية البحث:

تتمثل الإشكالية في استكشاف كيفية تأثير نظام الوقف الزراعي في مصر خلال العصر الأيوبي على التنمية الاقتصادية والاجتماعية بين عامي ٥٦٧ و٦٤٨هـ، وما إذا كان هذا النظام قد ساهم في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي أم أنه واجه تحديات أثرت على فعاليته.

ثانيا- أسئلة البحث:

١. ما هي الأسس الشرعية والإدارية التي بُني عليها الوقف الزراعي في مصر خلال العصر الأيوبي؟
٢. كيف ساهم الوقف الزراعي في تعزيز الإنتاج الزراعي واستصلاح الأراضي؟
٣. ما هو دور الوقف الزراعي في دعم المؤسسات التعليمية والدينية خلال هذه الفترة؟
٤. إلى أي مدى ساهم الوقف الزراعي في تحقيق التكافل الاجتماعي وتقليل الفجوات الطبقية؟
٥. كيف تعامل الوقف الزراعي مع الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية التي شهدتها مصر في العصر الأيوبي؟

ثالثا- أهمية البحث:

- يسلط الضوء على دور الوقف الزراعي كوسيلة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في مصر خلال العصور الوسطى.
- يساهم في فهم العلاقة بين الأرض والدولة والمجتمع في إطار نظام الأوقاف.
- يقدم رؤية جديدة لدور الأوقاف في مواجهة الأزمات الاقتصادية وتخفيف الأعباء عن بيت المال.
- يثري الدراسات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بالعصر الأيوبي.

رابعا- أهداف البحث:

- تحليل الأسس الشرعية والإدارية التي نظمت الوقف الزراعي.
- إبراز تأثير الوقف الزراعي في تطوير الزراعة وزيادة الإنتاج.
- دراسة تأثيراته على المؤسسات التعليمية والدينية.
- تقييم دوره في تعزيز التكافل الاجتماعي والاستقرار المجتمعي.
- الكشف عن مدى مساهمته في مواجهة الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية.

خامسا- منهجية البحث :

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال دراسة المصادر الفقهية والتاريخية والاقتصادية المتعلقة بالعصر الأيوبي، بالإضافة إلى الاستفادة من الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع الأوقاف والتنمية في مصر الإسلامية، كما يتم استخدام المنهج المقارن عند الحاجة لمقارنة التجربة الأيوبية بتجارب سابقة أو لاحقة.

سادساً فرضية البحث:

يفترض البحث أن الوقف الزراعي في مصر خلال العصر الأيوبي كان له دور محوري في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، من خلال استصلاح الأراضي وتوفير موارد ثابتة للمؤسسات التعليمية والدينية، وتعزيز التكافل الاجتماعي، إلا أن فعاليته كانت تتأثر بالأزمات الطبيعية والظروف السياسية التي مرت بها البلاد.

المبحث الأول: الخلفية التاريخية والمرتكزات الشرعية للوقف الزراعي

منذ أن ترسخ الحكم الأيوبي في مصر، انطلقت الدولة في مهمة إعادة هيكلة البنية الاقتصادية والاجتماعية لتلبية التحديات السياسية والعسكرية التي واجهتها، وكان الوقف الزراعي أحد أبرز الوسائل التي اعتمدتها لتحقيق هذا الهدف، فالوقف، في جوهره، مؤسسة إسلامية ذات جذور فقهية عميقة، ترتبط بمبدأ التكافل الاجتماعي وضمان استمرارية الموارد، لكن في عصر الأيوبيين، اكتسب الوقف أبعادًا جديدة، حيث تجاوز العمل الخيري ليصبح جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية الدولة في إدارة الأراضي الزراعية وتوزيع العوائد. (مجموعة من المؤلفين، ٢٠١٧، ٧٩/١)أدرك صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه أن الأراضي الزراعية تمثل العمود الفقري للاستقرار السياسي والمالي، لذا عملوا على تنظيم الأوقاف بما يضمن استصلاح الأراضي وتوفير موارد ثابتة للمؤسسات الدينية والتعليمية، مما ساهم في تعزيز التكافل الاجتماعي وتخفيف آثار الأزمات الاقتصادية. (طقوش،٢٠٠٨، ص ص ١١٢-١١٥)كان الوقف الزراعي في مصر الأيوبية قائمًا على أسس شرعية واضحة، حيث أكدت كتب الفقه على مشروعية وقف الأراضي الزراعية واستثمارها بما يعود بالنفع على المستفيدين، سواء كانوا فقراء أو مؤسسات دينية أو تعليمية، وقد حرص السلاطين على أن تكون هذه الأوقاف محكومة بإطار قانوني يضمن استمراريتها وعدم التلاعب بها، فكان القضاة والنظار يشرفون على إدارتها، ويضعون سجلات دقيقة تحدد حدود الأراضي الموقوفة وطرق استغلالها والعوائد المتوقعة منها، هذا التنظيم الإداري منح الوقف الزراعي قوة واستقرارًا، وجعله قادرًا على مواجهة التحديات الاقتصادية التي كانت تعصف بالبلاد بين الحين والآخر. (حمزة،١٩٩٩، ص ص٨٠-٩٠)ارتبط الوقف الزراعي أيضًا بالجانب الديني، حيث كان يُنظر إليه كوسيلة للتقرب إلى الله عبر تخصيص جزء من الثروة لخدمة المجتمع، وقد شجع الفقهاء والسلاطين على إنشاء الأوقاف الزراعية لما لها من أثر في دعم المساجد والمدارس والزوايا، التي أصبحت مراكز إشعاع علمي وثقافي، هذا البعد الديني منح الوقف شرعية قوية، وجعل الناس يقبلون على المشاركة فيه، سواء عبر وقف أراضٍ أو عبر المساهمة في إدارتها واستثمارها.(المقريزي،٢٠٠٣، ٣٦٤/٣)من الناحية الإدارية، كان للوقف الزراعي نظام متقن يضمن استمراريته ونجاحه، فقد تم تعيين النظار للإشراف على الأوقاف، وكانوا مسؤولين عن متابعة استغلال الأراضي وضمان وصول العوائد إلى المستفيدين، كما كانت هناك سجلات دقيقة تحتفظ بتفاصيل الأوقاف، بما في ذلك حدود الأراضي والمحاصيل المزروعة والعوائد المتوقعة، هذا التنظيم الإداري ساهم في حماية الأوقاف من التلاعب والفساد، مما جعلها مؤسسة مستقرة قادرة على مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية.(الحارثي،١٩٩٩، ص٣٧٤)ومن خلال هذا الدور، ساهم الوقف الزراعي في ترسيخ الهوية الإسلامية وتعزيز الروابط الاجتماعية، فكان أداة لإعادة توزيع الثروة والحد من الفوارق الطبقية، إضافة إلى كونه وسيلة لمواجهة الكوارث الطبيعية التي كانت تضرب البلاد ، إن دراسة هذه الظاهرة تكشف أن الوقف الزراعي لم يكن مجرد مؤسسة اقتصادية أو دينية، بل كان نظامًا متكاملًا يجمع بين الشرعية الفقهية والفاعلية الاقتصادية والبعد الاجتماعي، مما يجعله مدخلًا لفهم طبيعة التنمية في المجتمعات الإسلامية الوسيطة.(ابن دقماق ،١٨٩٣، ص٩٤)في ظل الظروف السياسية والعسكرية المعقدة، كان الوقف الزراعي في مصر الأيوبية يمثل إحدى الركائز الأساسية التي ساعدت على إعادة تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية. فقد أدرك صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه أن الأرض الزراعية ليست مجرد مصدر للغذاء، بل هي أساس الاستقرار السياسي والمالي، لذا سعوا إلى تنظيم الأوقاف الزراعية بما يضمن استصلاح الأراضي وتوفير موارد ثابتة للمؤسسات الدينية والتعليمية، هذا التنظيم لم يكن عشوائيًا، بل استند إلى أسس شرعية راسخة في الفقه الإسلامي، حيث نصت كتب الفقه على مشروعية وقف الأراضي الزراعية واستثمارها بما يعود بالنفع على الفقراء والمجتمع، مما منح الوقف قوة دينية وأخلاقية جعلته يحظى بقبول واسع بين الناس.(جازع، ٢٠١٧، ص ص ١٣٨-١٤٣)في تلك الحقبة، كان الوقف الزراعي يتمتع بنظام إداري محكم، حيث كان تحت إشراف القضاة والنظار الذين تولوا مسؤولية مراقبة استغلال الأراضي وضمان وصول العوائد إلى المستفيدين، وقد تم إنشاء سجلات دقيقة تحتفظ بتفاصيل الأوقاف، بما في ذلك حدود الأراضي والمحاصيل المزروعة والعوائد المتوقعة، مما ساهم في حماية الأوقاف من التلاعب والفساد، وجعلها مؤسسة مستقرة قادرة على مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية، هذا التنظيم الإداري أضفى على الوقف الزراعي قوة واستقرارًا، مما مكنه من التصدي للأزمات الاقتصادية التي كانت تعصف بالبلاد بين الحين

والآخر، مثل الجفاف والفيضانات والآفات الزراعية.(فرفا؛ السنوسي، ٢٠٢٣، ص ص٩٧-١١٧)اجتماعيًا، كان الوقف الزراعي وسيلة لتعزيز التكافل بين طبقات المجتمع، حيث استفادت الفئات الفقيرة من موارد مخصصة للغذاء والمساعدات، كما دعم المدارس والمساجد والزوايا التي تحولت إلى مراكز إشعاع علمي وثقافي، هذا الدور الاجتماعي جعل الوقف الزراعي أكثر من مجرد مؤسسة اقتصادية، بل نظامًا متكاملًا يجمع بين الشرعية الدينية والفاعلية الاقتصادية والبعد الاجتماعي، مما ساهم في تعزيز الهوية الإسلامية وتقوية الروابط الاجتماعية.(الريسوني، ٢٠١٤، ص٤٣)كما ارتبط الوقف الزراعي بالسياسة المالية للدولة، حيث ساهم في تخفيف الأعباء عن بيت المال من خلال توفير موارد ثابتة للمؤسسات الدينية والتعليمية، مما أتاح للدولة توجيه مواردها إلى مجالات أخرى مثل الدفاع وإدارة شؤون الحكم، هذا الدور المالي جعل الوقف الزراعي جزءًا من استراتيجية الدولة في إدارة الموارد وتوزيعها بما يخدم مصالحها ومصالح المجتمع معًا.(الدراجي،٢٠١٢، ص ص١٩٣-٢٢٢)تظهر دراسة الوقف الزراعي في مصر الأيوبية أنه لم يكن مجرد مؤسسة دينية أو اقتصادية، بل كان نظامًا متكاملًا يجمع بين الشرعية الفقهية والفاعلية الاقتصادية والبعد الاجتماعي، مما يجعله مدخلًا لفهم طبيعة التنمية في المجتمعات الإسلامية الوسيطة ، ومن خلال تتبع أثره في مصر الأيوبية، يمكن إدراك كيف استطاعت الدولة تحقيق التوازن بين مقتضيات السياسة ومتطلبات المجتمع عبر آليات مستدامة، وجعلت من الوقف الزراعي ركيزة أساسية في بناء الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

المبحث الثاني: الأثر الاقتصادي للوقف الزراعي

في عصر الأيوبيين، لم يكن الوقف الزراعي مجرد كيان ديني أو اجتماعي، بل أصبح دعامة اقتصادية محورية أعادت تشكيل الهيكل المالي والإنتاجي للدولة، فقد أدرك السلاطين أن الأراضي الموقوفة يمكن أن تكون مصدرًا دائمًا للدخل، مما يساهم في دعم المؤسسات التعليمية والدينية، ويخفف الأعباء عن خزينة الدولة، ويوفر موارد ثابتة لمواجهة الأزمات الاقتصادية، هذا الفهم جعل الوقف الزراعي جزءًا لا يتجزأ من الاستراتيجية الاقتصادية للدولة، حيث تم توظيفه في استصلاح الأراضي وزيادة الإنتاج الزراعي، وفي إعادة توزيع الثروة لتحقيق التوازن بين مختلف فئات المجتمع.(محارب،٢٠١١، ص ص ٧١-٧٤)لقد لعب الوقف الزراعي دورًا بارزًا في تعزيز الإنتاج الزراعي، إذ كانت الأراضي الموقوفة تُستثمر في زراعة المحاصيل الأساسية التي يحتاجها المجتمع، مثل القمح والشعير والقطن، مما ساعد على توفير الغذاء وتقليل الاعتماد على الواردات، كما ساهم الوقف في استصلاح الأراضي البور وتحويلها إلى أراضٍ منتجة، مما انعكس إيجابًا على زيادة المساحات الزراعية وتحسين مستوى معيشة الفلاحين، هذا الدور جعل الوقف الزراعي أداة فعالة في تعزيز الأمن الغذائي ودعم الاستقرار الاقتصادي للدولة.(الجمل،٢٠٠٧،ص١٢٦)من الناحية المالية، كان الوقف الزراعي وسيلة لتخفيف الضغط عن خزينة الدولة، حيث وفر موارد ثابتة للمؤسسات الدينية والتعليمية، مما أتاح للدولة توجيه مواردها إلى مجالات أخرى مثل الدفاع وإدارة شؤون الحكم، هذا الدور المالي جعل الوقف الزراعي جزءًا من استراتيجية الدولة في إدارة الموارد وتوزيعها بما يخدم مصالحها ومصالح المجتمع معًا، كما ساهم الوقف في دعم المشاريع العامة مثل بناء الجسور وشق الترع، مما ساعد على تحسين البنية التحتية الزراعية وزيادة الإنتاج.(حسن،٢٠٢٣، ص ص١٥٤٧-١٥٩٩)كان الوقف الزراعي أيضًا وسيلة لمواجهة الأزمات الاقتصادية التي كانت تضرب مصر بين الحين والآخر، مثل الجفاف والفيضانات والآفات الزراعية، فعندما كانت البلاد تتعرض لهذه الكوارث، كان الوقف يوفر موارد ثابتة تساعد على تخفيف آثارها، من خلال دعم الفقراء وتوفير الغذاء لهم، ومن خلال تمويل المؤسسات التي تقدم الخدمات الاجتماعية، هذا الدور جعل الوقف الزراعي أداة فعالة في تعزيز الاستقرار الاجتماعي والحد من الفوارق الطبقية، ومواجهة التحديات الاقتصادية التي كانت تعصف بالبلاد.(المصري،١٩٩٩،ص٢٢٦)ومن خلال هذا الدور الاقتصادي، ساهم الوقف الزراعي في تعزيز مكانة الدولة الأيوبية، إذ وفر لها موارد ثابتة ومستدامة، وساعدها على مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية، كما ساهم في دعم المؤسسات التعليمية والدينية، وتعزيز التكافل الاجتماعي، مما جعل الوقف الزراعي أكثر من مجرد كيان اقتصادي، بل منظومة متكاملة تجمع بين الشرعية الدينية والفاعلية الاقتصادية والبعد الاجتماعي. (دنيا، ١٩٩٥، ص ص١١٧-١٤٩)كان الوقف الزراعي في مصر الأيوبية نموذجًا حيًا لكيفية استغلال الموارد الاقتصادية لخدمة المجتمع والدولة في آن واحد، وكيف يمكن لمؤسسة دينية أن تتحول إلى أداة فعالة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، من خلال دراسة تأثيره في تلك الحقبة، يمكننا أن نرى كيف تمكنت الدولة من تحقيق التوازن بين متطلبات السياسة واحتياجات المجتمع عبر آليات مستدامة، وجعلت من الوقف الزراعي ركيزة أساسية لبناء الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.(بن دعاس،٢٠١٠، ص٢٢٦)في عصر الأيوبيين، كان الوقف الزراعي أحد الأعمدة الرئيسية التي ساهمت في تشكيل الاقتصاد وإعادة هيكلة النظام المالي للدولة، فقد أدرك السلاطين أن الأراضي الموقوفة تمثل مصدرًا مستدامًا للدخل، وقادرة على دعم المؤسسات التعليمية والدينية، وتخفيف الأعباء عن خزينة الدولة، وتوفير موارد ثابتة لمواجهة الأزمات الاقتصادية، هذا الفهم جعل الوقف الزراعي جزءًا لا يتجزأ من السياسة الاقتصادية للدولة، حيث تم استثماره في استصلاح الأراضي وزيادة الإنتاج الزراعي، وفي إعادة توزيع الثروة لتحقيق التوازن بين مختلف فئات المجتمع.(الدوري،٢٠٠٧، ص٤٥)ولم يقتصر تأثير الوقف الزراعي على تعزيز الإنتاج الزراعي فحسب، بل

امتد ليشمل إعادة توزيع الثروة بما يحقق العدالة الاجتماعية، فقد كانت عائدات الأوقاف موجهة لدعم الفقراء والمحتاجين، وتمويل المؤسسات التعليمية والدينية، مما ساهم في تعزيز روح التكافل الاجتماعي وتقليص الفجوات الطبقية، هذا الدور جعل الوقف الزراعي أداة فعالة لإعادة توزيع الثروة بشكل عادل، وتعزيز الاستقرار الاجتماعي في مواجهة التحديات الاقتصادية.(منصور،(د.ت)، ص٢٣)كما لعب الوقف الزراعي دورًا محوريًا في دعم البنية التحتية الزراعية، من خلال تمويل مشاريع مثل شق الترع وبناء الجسور، مما ساعد على تحسين نظام الري وزيادة الإنتاج الزراعي، هذا الدور جعل الوقف الزراعي جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية الدولة في تطوير الزراعة وتعزيز الأمن الغذائي والاستقرار الاقتصادي.(Degiulhem,1995,p29) ومن خلال هذا الدور، ساهم الوقف الزراعي في تعزيز مكانة الدولة الأيوبية ودعم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، ومواجهة التحديات الاقتصادية التي كانت تعصف بالبلاد، لقد كان الوقف الزراعي في مصر الأيوبية نموذجًا يحتذى به في كيفية استغلال الموارد الاقتصادية لخدمة المجتمع والدولة معًا، وكيف يمكن لمؤسسة دينية أن تتحول إلى أداة فعالة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

المبحث الثالث الأثر الاجتماعي والثقافي للوقف الزراعي

في عصر الأيوبيين بمصر، لم يكن الوقف الزراعي مجرد كيان اقتصادي أو مالي، بل كان له تأثير عميق في تشكيل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية، فقد أسهم بشكل كبير في تعزيز روح التكافل بين أفراد المجتمع، ودعم المؤسسات التعليمية والدينية، وإعادة تشكيل العلاقات بين مختلف الطبقات الاجتماعية، كان الوقف الزراعي وسيلة فعالة لإعادة توزيع الثروة بما يحقق العدالة الاجتماعية، ويقلل الفجوات الطبقية، ويعزز الروابط بين الدولة والفلاحين والمؤسسات الدينية.(البدرشيني،٢٠١٥، ص ص١٤٨٥-١٤٩٢)استفادت الفئات الأقل حظًا من موارد الأوقاف الزراعية، حيث تم تخصيص جزء من العوائد لتوفير الغذاء والمساعدات، مما ساعد في تحسين مستوى معيشتهم وتعزيز الاستقرار الاجتماعي، كما لعب الوقف دورًا في دعم المدارس والمساجد والزوايا، التي أصبحت مراكز إشعاع علمي وثقافي، وأسهمت في نشر المعرفة وتعزيز الهوية الإسلامية، هذا الدور جعل الوقف الزراعي أكثر من مجرد مؤسسة اقتصادية، بل نظامًا اجتماعيًا وثقافيًا ساهم في ترسيخ قيم التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع.(أمين، ١٩٨٠، ص١٤)من خلال دعمه للمؤسسات التعليمية، ساهم الوقف الزراعي في نشر المعرفة وتوسيع قاعدة المتعلمين، مما كان له أثر إيجابي على تطور الحياة الثقافية والفكرية في مصر الأيوبية، كانت المدارس المعتمدة على موارد الأوقاف قادرة على الاستمرار في أداء رسالتها التعليمية، وتوفير التعليم لمختلف فئات المجتمع، مما ساعد في تعزيز مكانة العلم والثقافة في الحياة اليومية، كما دعم الوقف المساجد والزوايا، التي لم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل مراكز للتعليم والتثقيف والتواصل الاجتماعي.(المقريزي،٢٠٠٣، ٣٦٨/٣)كان الوقف الزراعي أيضًا وسيلة لتعزيز الروابط الاجتماعية بين مختلف طبقات المجتمع، حيث وفر موارد للفقراء والمحتاجين، ودعم المؤسسات التي تخدم المجتمع ككل، مما ساعد في تعزيز الشعور بالانتماء والتكافل، هذا الدور الاجتماعي جعل الوقف الزراعي أداة لإعادة صياغة العلاقات بين الدولة والمجتمع، ولتعزيز الاستقرار الاجتماعي في مواجهة التحديات الاقتصادية والسياسية.(ابن إياس،١٩٨٢، ص ص٢١٧-٢٢٥)من خلال هذا الدور، ساهم الوقف الزراعي في ترسيخ الهوية الإسلامية، وتعزيز القيم الدينية والاجتماعية التي كانت تشكل أساس الحياة في مصر الأيوبية، لقد كان الوقف الزراعي أكثر من مجرد كيان اقتصادي، بل نظامًا اجتماعيًا وثقافيًا ساعد في بناء مجتمع أكثر تماسكًا وعدالة، ومواجهة التحديات التي كانت تعصف بالبلاد.(العربي، ٢٠٢٢، ص ص٥٢-٧٥)تُظهر دراسة التأثير الاجتماعي والثقافي للوقف الزراعي أنه لم يكن مجرد وسيلة لإعانة الفقراء أو دعم المؤسسات الدينية، بل كان أداة فعالة لإعادة تشكيل النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع، وتعزيز قيم التعاون والتكافل، وترسيخ الهوية الإسلامية، ومن خلال هذا الدور، أسهم الوقف الزراعي في بناء مجتمع أكثر استقرارًا وعدالة، وعزز من مكانة الدولة الأيوبية في مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية.(السرجاني،٢٠١٠، ص١١٨)ولم يقتصر تأثير الوقف الزراعي على دعم المؤسسات التعليمية والدينية فحسب، بل امتد ليشمل الحياة الثقافية والفكرية، حيث لعب دورًا محوريًا في نشر العلوم والمعارف، وتعزيز مكانة العلماء والفقهاء الذين اعتمدوا على موارد الأوقاف لاستمرار أنشطتهم العلمية هذا الدور الثقافي جعل الوقف الزراعي جزءًا لا يتجزأ من منظومة التنمية الفكرية، وأسهم في بناء مجتمع أكثر وعيًا وثقافة.(المزيني،٢٠٢٢، ص ص٢٤٧-٢٥٠)

هذا الدور جعل الوقف الزراعي أكثر من مجرد مؤسسة اقتصادية، بل تحول إلى منظومة اجتماعية وثقافية ساعدت في بناء مجتمع أكثر تماسكًا وعدالة، وواجهت التحديات التي كانت تعصف بالبلاد.

الخاتمة :

لقد أظهر الوقف الزراعي في مصر خلال الحقبة الأيوبية أنه لم يكن مجرد مؤسسة دينية أو مالية، بل كان نظامًا متكاملًا ساهم في إعادة تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدولة والمجتمع، من خلال تنظيمه الشرعي والإداري، استطاع الوقف أن يضمن استمرارية الموارد، ويوفر قاعدة قوية لدعم المؤسسات التعليمية والدينية، ويساهم في استصلاح الأراضي وزيادة الإنتاج الزراعي، كما لعب دورًا بارزًا في مواجهة الأزمات الاقتصادية، وتعزيز التكافل الاجتماعي، ونشر العلم والثقافة، مما جعله أداة للتنمية المستدامة في مجتمع يواجه تحديات سياسية وعسكرية واقتصادية

معقدة، تكشف دراسة هذه الظاهرة عن عمق التجربة الأيوبية في استخدام الوقف الزراعي كوسيلة لتحقيق التوازن بين احتياجات الدولة ومتطلبات المجتمع، وتبرز كيف تمكنت مصر من جعل الوقف الزراعي ركيزة أساسية في بناء الاستقرار والعدالة والتنمية.

النتائج:

١. نشأ الوقف الزراعي في مصر الأيوبية على أسس شرعية واضحة، وكان مرتبطًا بالمفهوم الإسلامي للتكافل الاجتماعي.
٢. التنظيم الإداري والقانوني للأوقاف الزراعية منحها استقرارًا وفاعلية، مما جعلها قادرة على مواجهة التحديات الاقتصادية.
٣. ساهم الوقف الزراعي في استصلاح الأراضي وزيادة الإنتاج الزراعي، مما عزز الأمن الغذائي للدولة.
٤. وفر الوقف موارد ثابتة للمؤسسات التعليمية والدينية، مما ساعد في نشر العلم وتعزيز الهوية الإسلامية.
٥. لعب الوقف دورًا مهمًا في مواجهة الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية من خلال توفير موارد مستقرة للفقراء والمحتاجين.
٦. أسهم الوقف الزراعي في إعادة توزيع الثروة بشكل عادل، وتعزيز التكافل الاجتماعي والحد من الفوارق الطبقية.
٧. كان الوقف الزراعي أداة للتنمية المستدامة، حيث جمع بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في آن واحد.

التوصيات:

١. ضرورة دراسة سجلات الأوقاف الزراعية بشكل أعمق للكشف عن تفاصيل إدارتها وآليات توزيع عوائدها.
٢. الاستفادة من التجربة الأيوبية في الوقف الزراعي كنموذج للتنمية المستدامة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.
٣. تعزيز الدراسات المقارنة بين الأوقاف الزراعية في مصر الأيوبية وتجارب مشابهة في دول إسلامية أخرى.
٤. التركيز على دور الوقف الزراعي في دعم المؤسسات التعليمية والدينية، وإبراز أثره في نشر العلم والثقافة.
٥. دراسة العلاقة بين الوقف الزراعي والسياسة المالية للدولة، وكيف ساهم في تخفيف الضغط عن بيت المال.
٦. إبراز دور الوقف الزراعي في مواجهة الأزمات الاقتصادية، وربط ذلك بالسياسات الحديثة لإدارة الموارد.
٧. تشجيع الباحثين على توظيف المصادر الفقهية والتاريخية والاقتصادية بشكل متكامل لفهم أعمق لدور الوقف الزراعي.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

اولا المصادر:

1. ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي،(١٩٨٢)،بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
2. ابن دقماق، ابراهيم بن محمد (١٨٩٣) ، كتاب الانتصار الواسطة لعقد الأمصار، القاهرة :المطبعة الأميرية الكبرى، ق١.
3. الشوكاني ، محمد بن علي بن عبد الله (١٩٩٣)، نيل الأوطار ، تحقيق : عصام الدين الصبابطي، مصر: دار الحديث ،ج٦.
4. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (٢٠٠٣)، المواعظ والاعتبارات من ذكر الخطط وآثاره، تحقيق : ايمن فؤاد سيد ، لندن: مؤسسة الفرقان الإسلامي، ج٣.
5. النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، (١٩٧٢) ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت: دار إحياء التراث، ج١١ .

ثانيا الكتب:

1. أمين ، محمد محمد،(١٩٨٠)، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة : دار النهضة العربية .
2. بن دعاس، جمال،(٢٠١٠)، التكامل الوظيفي بين السياستين النقدية والمالية دراسة مقارنة بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجزائر: جامعة باتنة .
3. جازع، مبارك عشوي فلاح جازع ، (٢٠١٧)، الوقف والحياة الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر الأيوبي ، الكويت : الأمانة العامة للأوقاف الكويتية.
4. الجمل، أحمد عبد العظيم ، (٢٠٠٧)، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، القاهرة :دار السلام.
5. الحارثي، عدنان، (١٩٩٩)، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي، القاهرة : مكتبة زهراء دمشق .
6. حمزة ، عبد اللطيف،(١٩٩٩)، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، تقديم جابر عصفور، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7 . الدوري، عبد العزيز، (٢٠٠٧)، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
8 . الريسوني ،أحمد (٢٠١٤)، الوقف الإسلامي مجالاته وابعاده، القاهرة – مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع.
9 . الزحيلي ، وهبة،(١٩٨٩)، الفقه الإسلامي وأدلته ، دمشق: دار الفكر .
10 . السرجاني، راغب،(٢٠١٠)، روائع الأوقاف في الحضرة الإسلامية، القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر.
11 . طقوش، محمد سهيل،(٢٠٠٨)، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام واقليم الجزيرة ،دار النفائس.
12 . مجموعة من المؤلفين، (٢٠١٧)، مدونة أحكام الوقف الفقهية، الأمانة العامة للأوقاف ، الكويت،ج١.
13 . محارب، عبد العزيز، (٢٠١١)، الوقف الإسلامي، إدارة، اقتصاد، وإدارة وبناء حضارة ، الاسكندرية – مصر: دار الجامعة الجديدة.
14 . المصري، رفيق يونس،(١٩٩٩)، أصول الاقتصاد الإسلامي، بيروت: الدار الشامية.
15 . منصور، سليم هاني ،(د.ت)، الوقف و دوره في التنمية الاجتماعية، بحث مقدم للمؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية.

ثالثا المجلات والدوريات:

1 . البدرشيني ، سهام هاشم أحمد، (٢٠١٥)، أثر الأوقاف والرواتب على شئون الحياة الثقافية في المدينة المنورة في عهد السلطان محمود الثاني ١٢٢٣ – ١٢٥٥ هـ و ١٨٩٣ م– ١٨٣٩ م،مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق،(٣٥).
2 . حسن، محمد عبد المنعم،(٢٠٢٣)، الوقف وأثره في حفظ المجتمع،مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، ٣٩(٢).
3 . الدراجي، السعيد،(٢٠١٢)، تفعيل دور الوقف والزكاة للمشروعات المعمارية،محلة القانون الكندي،١(١).
4 . دنيا، شوقي أحمد،(١٩٩٥)، أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة،مجلة البحوث الفقهية المعاصرة،٦(٢٤).
5 . العربي، عبد الرحمن، (٢٠٢٢)، الوقف في عصر الدولة الأيوبية وأثره في النهضة الحضارية، مجلة جامعة السعيد للعلوم الانسانية، ٥(٢).
6 . فرفا ، أحمد ؛السنوسي، عبد الرحمن،(٢٠٢٣) ، فعالية الوقف الإسلامي الحضاري في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، واسهاماته في تمويل المشاريع والمؤسسات ودعم أهدافها، مجلة التكامل الاقتصادي، ١١(٤).
7 . المزيني، ابراهيم، (٢٠٢٢)، الوقف وأثره في تشيد بنية الحضارة الإسلامية، مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف، ٢٠٢٢(٦).
8 . الوندة، جمعان عيد،(٢٠٢١)، الأوقاف وإنفاقها على المدارس في مصر في العصر الأيوبي، مجلة التراث والتصميم،٣(٤).

رابعا المصادر الأجنبية:

1 . Degiulhem ;Randi, (1995), Le WaQf dans Lespace IslamiQue, DAMAS.

List of Sources and References:

The Holy Quran

First – Sources:

1. Ibn Iyas, Muhammad ibn Ahmad ibn Iyas al-Hanafi, (1982), Bada'i' al-Zuhur fi Waqa'i' al-Duhur, Cairo: The Egyptian General Book Organization.
2. Ibn Daqmaq, Ibrahim ibn Muhammad (1893), Kitab al-Intisar al-Wasita li-'Aqd al-Amsar, Cairo: The Great Amiri Press, Part 1.
3. Al-Shawkani, Muhammad ibn Ali ibn Abdullah (1993), Nayl al-Awtar, edited by: Issam al-Din al-Sababti, Egypt: Dar al-Hadith, Vol. 6.
4. Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad ibn Ali ibn Abd al-Qadir, (2003), Al-Mawa'iz wa al-I'tibarat min Dhikr al-Khitat wa Atharuh, edited by: Ayman Fuad Sayyid, London: Al-Furqan Islamic Foundation, Vol. 3.
5. Al-Nawawi, Abu Zakariya Yahya ibn Sharaf, (1972), Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim ibn al-Hajjaj, Beirut: Dar Ihya' al-Turath, Vol. 11.

Second - Books:

1. Amin, Muhammad Muhammad, (1980), Endowments and Social Life in Egypt 648-923 AH / 1250-1517 AD: A Historical and Documentary Study, Cairo: Dar al-Nahda al-Arabiya.
2. Bin Daas, Jamal, (2010), Functional Integration Between Monetary and Fiscal Policies: A Comparative Study Between Islamic Economics and Positive Economics, Unpublished Doctoral Dissertation, Algeria: University of Batna.
3. Jazaa, Mubarak Ashwi Falah Jazaa, (2017), Endowments and Social Life in the City of Damascus During the Ayyubid Era, Kuwait: General Secretariat of Endowments, Kuwait.
4. Al-Jamal, Ahmad Abd al-Azim, (2007), The Role of the Islamic Endowment System in Contemporary Economic Development, Cairo: Dar al-Salam.

5. Al-Harithi, Adnan, (1999), The Urban Development and Plans of Cairo During the Reign of Saladin, Cairo: Zahraa Damascus Library.
6. Hamza, Abd al-Latif, (1999), The Intellectual Movement in Egypt during the Ayyubid and Early Mamluk Periods, introduction by Jaber Asfour, Cairo: The Egyptian General Book Organization.
7. Al-Douri, Abd al-Aziz, (2007), An Introduction to Arab Economic History, Beirut: Center for Arab Unity Studies.
8. ALl-Raysouni, Ahmad (2014), Islamic Endowments: Their Fields and Dimensions, Cairo, Egypt: Dar Al-Kalima for Publishing and Distribution.
9. Al-Zuhayli, Wahba (1989), Islamic Jurisprudence and Its Evidences, Damascus: Dar Al-Fikr.
10. Al-Sarjani, Ragheb (2010), Masterpieces of Endowments in the Islamic Civilization, Cairo: Nahdet Misr for Printing and Publishing.
11. Taqoush, Muhammad Suhayl (2008), The History of the Ayyubids in Egypt, the Levant, and the Jazira Region, Dar Al-Nafais.
12. A Group of Authors (2017), A Compendium of Jurisprudential Rulings on Endowments, General Secretariat of Endowments, Kuwait, Vol. 1.
13. Muharib, Abdul Aziz (2011), Islamic Endowments: Management, Economics, and Civilizational Development, Alexandria, Egypt: Dar Al-Jami'a Al-Jadeeda.
14. Al-Masri, Rafiq Younis (1999), Principles of Islamic Economics, Beirut: Al-Dar Al-Shamiyah.
15. Mansour, Salim Hani, (n.d.), Waqf and its role in social development, a paper presented to the Second Waqf Conference in the Kingdom of Saudi Arabia.

Thirdly - Journals and Periodicals:

1. Al-Badarshini, Siham Hashim Ahmad, (2015), The Impact of Endowments and Stipends on Cultural Life in Medina during the Reign of Sultan Mahmud II 1223-1255 AH and 1893-1839 CE, Journal of the Faculty of Arabic Language in Zagazig, (35).
2. Hassan, Muhammad Abdul-Mun'im, (2023), Endowments and Their Impact on Preserving Society, Journal of the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, 39(2).
3. Al-Daraji, Al-Saeed, (2012), Activating the Role of Endowments and Zakat in Architectural Projects, Canadian Law Journal, 1(1).
4. Dunya, Shawqi Ahmad, (1995), The Impact of Endowments on Achieving Comprehensive Development, Journal of Contemporary Jurisprudential Research, 6(24).
5. Al-Arabi, Abdul Rahman, (2022), Waqf in the Ayyubid Era and its Impact on Civilizational Renaissance, Al-Saeed University Journal of Humanities, 5(2).
6. Farfa, Ahmed; Al-Sanousi, Abdul Rahman, (2023), The Effectiveness of Islamic Civilizational Waqf in Economic and Social Development, and its Contributions to Financing Projects and Institutions and Supporting their Objectives, Journal of Economic Integration, 11(4).
7. Al-Muzaini, Ibrahim, (2022), Waqf and its Impact on Building the Structure of Islamic Civilization, Sa'i Foundation for Waqf Development, 2022(6).
8. Al-Wanda, Jumaan Eid, (2021), Waqfs and their Expenditure on Schools in Egypt during the Ayyubid Era, Journal of Heritage and Design, 3(4) .